ورحل البابا خفيف الظل

تعيش مصرنا هذه الأيام حزنًا عميقًا مسلمين ومسيحيين على فقيدنا البابا شنودة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، هذا الرجل الذى نال احترام الجميع من خلال مواقفه وكلماته التى عاش بها مع كل المصريين بكل طوائفهم، وكانت شخصيته قوية حتى آخر أيامه الأخيرة وهو على فراش المرض وعند سفره لم يفقد زمام الأمور أبدًا فى إدارة شئون الكنيسة، هذا الرجل الوسطى والمُتصف بالحكمة والوطنية.

كان رجلًا هادئًا فى معالجة الأزمات والأحداث، إننى حقيقة أعتز بهذا الرجل، وكان البابا دائمًا يقول هناك أرضية مشتركة للتعايش بين الأديان والانفعال لن يحل المشاكل.. هذا الكلام يعبر عن مدى حبه لوطنه، وكان صديقا مخلصًا لبعض الشخصيات الدينية الإسلامية، ولقد أعلن من قبل بأن الشريعة الإسلامية تحمى الأقباط، وكان حديثه واقعيًا، لقد كان البابا الوحيد الذى احتفل بشهر رمضان داخل الكاتدرائية من خلال إقامة حفل الإفطار السنوى الذى يجمع كل المسئولين فى مصر على مائدة واحدة يجلس فيها الشيخ بجانب القس، ولقد أصبح هذا تقليدًا سنويًا.

لقد حرص البابا دائمًا على علاقة الحب والمودة بين عنصرى الأمة مهما قيل عن وجود فتن واضطهاد. وأتذكر عندما التقى البابا بالإعلامى الكبير «عمرو الليثى» وقال له:

«اللى يقول الأقباط مُضطهدون يقدم دليله»، وأتذكر أيضًا عندما كان فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى مريضًا ويُعالج بلندن، بادر البابا شنودة بالسفر إلى لندن لرفع أية حساسية بينهما وليكون بجانبه فى محنته، ولقد صرح الشيخ الشعراوى حينذاك للبابا بأنه يوجد بينه وبين البابا مساحة كبيرة للاتفاق وسيعملون معًا ضد المنحلين خلقيًا واجتماعيًا وفكريًا.

إن البابا شنودة كان مثالًا للسماحة، وكانت مواعظه لا تخلو أبدًا من الحب والعدل والسلام والحث على عمل الخير والبعد عن الشر، هذه الصفات المشتركة بين الأديان، لقد أقدم مواطنون كثيرون على الانتحار حزنًا على وفاته، فهذا الرجل له مواقفه الوطنية العظيمة؛ فلقد رفض الذهاب لبيت المقدس والحج إلا ومعه المسلمين. أتمنى أن يخلف البابا رجل بنفس وطنيته وحكمته واتزانه وبساطته وخفة دمه وشعبيته التى لا تنضب حتى تسير المركب إلى بر الأمان بالتعايش السلمى والمحبة.

مجلة النهار عدد:ابريل 2012 م